المحبّة في رسالة يوحنّا الأولى

الخوري ميشال صقر
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

للفعل "أحبّ" في الأصل اليونانيّ مرادفان: كلمة agapaô التي تعني الحبّ الكبير النموذجيّ، وكلمة phileô التي تعني حبّ الصداقة الذي هو أقلّ درجة من الأوّل. وفي اللغة اليونانيّة كلمة أخرى غير موجودة في العهد الجديد، erôs الحبّ الغريزيّ أو الشهوانيّ. أمّا في اللغة اللاتينيّة، فكلمة agapê، المشتقّة من الفعل الأوّل، قد تُرجمت إلى caritas، هذا ما جعل الترجمات الفرنسيّة تختلف كثيرًا في ما بينها: ففي نشيد المحبّة مثلاً (١ كو ١٣: ١) استعملت الترجمة المسكونيّة المعروفة بـ *TOB* كلمة amour، أمّا الترجمة اليسوعيّة المعروفة بـ *Bible de Jérusalem* فاستعملت كلمة charité[١]. في اللغة العربيّة نعتبر الكلمتين "حبّ" و"محبّة" مرادفَين، لكنّهما تختلفان عن "الصدقة" الاجتماعيّة وعن "الصداقة" في العلاقات الإنسانيّة، حتّى ولو كانتا تتضمّنان بطريقة أو بأخرى معنى هاتَين الأخيرتين.

بناءً على ذلك، سنعرض في ما يلي مفهوم المحبّة في العهد الجديد، أوّلاً من خلال لمحة سريعة[٢]، ومن ثمّ نستفيض بشرح هذا الموضوع في رسالة يوحنّا الأولى مبيّنين أهمّيّته فيها، ونُعطي في النهاية خلاصة لاهوتيّة كتابيّة حول هذا الموضوع.

(1) Cf. X. Leon-Dufour, « Amour », *Dictionnaire du Nouveau Testament*, Paris 1996, 114-115.

(2) Cf. W.F. Moulton – A.S. Geden, *Concordance to the Greek New Testament*, London New York 2002.

أوّلاً: المحبّة في العهد الجديد

١- المحبّة عند متّى، مرقس، ولوقا

لقد أبرز الإزائيّون يسوع ابنًا حبيبًا للآب (مت ٣: ١٧؛ مر ١: ١١؛ لو ٣: ٢٢). لم يتكلّموا بطريقة واضحة عن حبّ الله للبشر، إنّما تكلّم يسوع عن الرحمة (مت ٩: ٩ و١٢: ٧)، وعن السلوك الأخلاقيّ المحبّ. ولقد أعطى، في تعليمه، الوصيّة الأولى والكبرى في الشريعة مكانة خاصّة عندما شدّد على حبّ الله من كلّ القلب والنفس والعقل، وقال أيضًا إنّ الوصيّة الثانية التي تشبهها هي "أحبّب قريبك حبّك لنفسك" (مت ٢٢: ٣٦-٤٠؛ مر ١٢: ٢٨-٣٤). لكنّ هاتين الوصيّتَين ليستا بجديدتَين إذ تتواجدان في العهد القديم (تث ٦: ٥؛ لا ١٩:١٨). أمّا الجديد في تعليم يسوع فيكمن في الانتقال من محبّة القريب إلى محبّة الأعداء ومباركة المضطهِدين (مت ٥: ٤٤). وقد أعطى مثلاً عن ذلك في السامريّ الصالح الذي عامل عدوّه اليهوديّ بالرحمة (لو ١٠: ٢٥-٣٧).

٢- المحبّة عند بولس

إنّ بولس، وريث العهد القديم، يربط عادة بين المحبّة والاختيار: فالمختارون والمدعوّون هم "المحبوبون" (قول ٣: ١٢؛ ٢ تس ٢: ١٣)، وبطريقة أخرى إنّ المحبّة هي عطيّة مجّانيّة من الله (رو ٩: ١٦). مبادرة المحبّة هي من الله وتتجلّى في الفعل الخلاصيّ: فالمسيح يسوع أظهر حبّه لنا إذ جاد بنفسه ومات من أجلنا لمّا كنّا خاطئين، مع العلم أنّه ربما قد يجرؤ أحد أن يموت من أجل امرئ صالح، فكيف ولو كان خاطئًا؟ (رو ٥: ٦-٨). إنّ المحبّة تحمينا من الغضب الآتي وتصالحنا مع الله؛ فالله والمحبّة مرادفان (٢ كو ١٣: ١١ و١٣). وقد شبّه أيضًا بولس حبّ المسيح بميزات الحبّ الزوجيّ ليؤكّد على الأمانة والاختيار (أف ٥: ٢٥).

من جهّة أخرى، معروف أنّ الرسائل البولسيّة مقسومة إجمالاً إلى قسم

عقائديّ وآخر أخلاقيّ؛ فهذا القسم الأخلاقيّ يشدّد بدرجة أولى على المحبّة. يعرف المؤمن المبرَّر أنّه محبوبٌ من الله (رو ٥: ٥). لذلك، عندما يجاوب على حبّ الله، يُعلن إيمانه المرتبط بالمحبّة (١ تس ٣: ٦ و٥: ٨)؛ فالإيمان يؤسّس المحبّة الأخويّة (غل ٥: ٦)، لكنّ الإيمان، مهما كان كاملاً وناقلاً للجبال، إن نَقَصَتْه المحبّة فليس بشيء (١ كو ١٣: ٢). لا ينفي بولس أهمّيّة الفضائل الإيمانيّة الثلاث، الإيمان والرجاء والمحبّة، لكنّه يُعلن أنّ أعظمهنّ المحبّة لأنّها لا تسقط أبدًا: إنّها أبديّة (١ كو ١٣: ٨ و١٣)؛ فالمحبّة وحدها هي التي تكوّن جماعة المؤمنين، جسد المسيح السرّيّ (أف ٤: ١٥؛ فل ٢: ٢).

٣- المحبّة في الرسائل الكاثوليكيّة

تشدّد الرسالة إلى العبرانيّين على أنّ المؤمنين يظهرون عادةً محبّة كبيرة من أجل "الاسم" إذ يخدمون القدّيسين (عب ٦: ١٠)، ولكن، إن ضاق بهم الأمر، عليهم أن يتذكّروا أنّ مَن أحبّه الله يؤدّبه (عب ١٢: ٦).

أمّا يعقوب فيشدّد في رسالته على الطابع الاجتماعيّ للمحبّة؛ فهو إذ يذكّر بوصيّة "أحبب قريبك حبّك لنفسك"، يقول إنّ الإيمان يجب أن يُتَرجم بالأعمال، والمحبّة يجب أن تتجلّى بطريقة ملموسة من خلال أعمال الصدقة والرحمة تجاه الفقراء (يع ٢: ٥-٩).

من ناحيته، يشدّد بطرس الرسول على واجب المؤمنين حبّ بعضهم البعض حبًّا أخويًّا بلا رياء لأنّهم وُلدوا ولادة ثانية من كلمة الحياة (١ بط ١: ٢٢-٢٣)؛ فبالرغم من أنّهم لم يروا المسيح لكنّهم يحبّونه، يؤمنون به وينتظرون مجيئه الثاني (١ بط ١: ٨). عليهم أن يكونوا في ما بينهم متّفقين في الرأي، متحابّين كالإخوة، رحماء ومتواضعين (١ بط ٣: ٨)؛ فالمحبّة تستر جمًّا من الخطايا (١ بط ٤: ٨).

ويهوذا الرسول يقول إنّ المؤمنين هم مدعوّون ومحبوبون من الآب، وقد

حفظهم ليسوع المسيح (يه ١)؛ عليهم أن يحفظوا أنفسهم في محبّة الله (يه ٢١).

٤- المحبّة عند يوحنّا

إنجيل يوحنّا، رؤيا يوحنّا، والرسائل الثلاث المنسوبة إليه، هي المخزون الأساسيّ عن تعليم العهد الجديد حول المحبّة؛ فالله هو الذي، أوّلاً، أحبّ العالم، وليس العكس، حتّى إنّه جاد بابنه الوحيد (يو ٣: ١٦)[٣]. أمّا بالنسبة إلى وصيّة المحبّة، فعندما يعيشها الإنسان تكون كجواب على حبّ الله، وبذلك يبتعد يوحنّا عن العهد القديم معطيًا المثل في المحبّة لا "نفسك" (لا ١٩: ١٨)، إنّما "كما أنا أحببتكم" (يو ١٣: ٣٤): علينا أن نحبّ بعضنا بعضًا كما المسيح أحبّنا، وحبّ المسيح قد تجلّى لنا ببذل الذات كلّيًا حتّى الموت على الصليب؛ فهو "الشاهد الأمين الذي أحبّنا فحلّنا من خطايانا بدمه" (رؤ ١: ٥). قد أحبّنا المسيح حبًّا بالآب وطاعةً لمشيئته (يو ١٥: ٩). إنّ المؤمنين يدخلون في علاقة الحبّ المميّزة التي تربط الابن بالآب (يو ١٧: ٢٦)، وعليهم أن يحبّوا الآب والابن الحبّ ذاته (يو ٢١: ١٤)؛ فهذه المحبّة هي التي تؤسّس للمحبّة الأخويّة وللشراكة الكنسيّة التي نجدها في رسالته الثانية عندما يكتب إلى الكنيسة المختارة: "أسألكِ أن يُحبّ بعضنا بعضًا... تلك الوصيّة كما سمعتموها منذ البدء هي أن تسلكوا سبيل المحبّة" (٢ يو ٥-٦). والمشكلة تقع عندما يترك المؤمنون حبّهم الأوّل (رؤ ٢: ٤).

ثانيًا: المحبّة في رسالة يوحنّا الأولى

إنّ رسالة يوحنّا الأولى هي السفر الأساسيّ في الكتاب المقدّس الذي يتحدّث عن موضوع "المحبّة"؛ فهي وحدها تحدّد الله بعبارة: "الله محبّة" (١ يو ٤: ٨ و١٦)، وتستفيض بشرح محبّة الله ووصيّة المحبّة، رابطة إيّاها

(3) Cf. B. Maggioni, *Il racconto di Giovanni*, Bibbia per tutti, Assisi 2006, 82-90.

بموقف الإيمان وواجب الابتعاد عن الخطيئة. سنرى في ما يلي أمكنة تواجد هذا الموضوع في رسالة يوحنّا الأولى وسنشرحه بعد أن نعرض بنية الرسالة ومقدّمة عامّة حولها.

١- كاتب الرسالة، إلى مَن، متى، وأين كُتِبَت؟

خلافًا للرسالتين الثانية والثالثة والرؤيا، لم تكن يومًا الأصالة اليوحنّويّة لهذه الرسالة موضع بحث أو جدال في الأجيال الأولى(٤). اعتبرتها الكنيسة منذ البدء مثل الإنجيل الرابع، من عمل الرسول يوحنّا نفسه (يوحنّا ابن زبدى)، باستثناء الكنيسة السريانيَّة التي قبلتها فقط في الترجمة البسيطة.

إنّ أوجه التشابه بين رسالة يوحنّا الأولى والإنجيل الرابع لكثيرة. نجد فكرًا لاهوتيًّا وتعابيرًا وجُمَلاً نفسها مستعملة في الإنجيل، هي نفسها في الرسالة، منها(٥): حفظ الوصايا، ولد من الله، عمل الحقّ، المسيح يدعى الابن الوحيد، logos، وقد أتى بالجسد، وصيّة المحبّة، الانتقال من الموت إلى الحياة، التناقض بين الظلمة والنور، الموت والحياة، الكذب والحقيقة، إلخ. أسلوب كاتب الرسالة يشبه أسلوب كاتب خطب يسوع في إنجيل يوحنّا. أفكاره مسكوبة في لغة يونانيّة سليمة، وجمل متينة متقنة وكلام مقنع. طابع الرسالة خطابيّ وعماديّ، فقد رأى بعض الشرّاح أنّها خطبة عماديّة أو خطبة عامّة تذكّر المؤمنين بملزمات عمادهم المقدّس. ولاحظ غيرهم أنّها تصلح لكلّ الجماعات بدون تمييز، ولا تقصد جماعة معيّنه. وقد اعتبرها البعض استكمالاً لإنجيل يوحنّا؛ فهي بالفعل تظهر وكأنّها قراءة لإنجيل يوحنّا وتفسير وشرح له!

إذا كانت رسالة يوحّنا الأولى لا تُعطي تحديدًا واضحًا حول مكان الجماعة

(4) Cf. K. H. Schelkle, *Teologia do Novo Testamento*. Vol 1. *Sua história literária e teologia*, Loyola, São Paulo 1977, 211-214.

(٥) ممكن مقابلة المراجع التالية: ١ يو ٢: ١٤ مع يو ٥: ٣٨؛ ٦: ٥٦؛ ٨: ٣١؛ ١ يو ١: ٦–٧؛ ٢: ١١ مع يو ٨: ١٢؛ ١٢: ٣٥؛ ١ يو ١: ٨ مع يو ٨: ٤٤؛ ١ يو ٢: ٧ مع يو ١٣: ٣٤؛ ١ يو ٢: ١٥ مع يو ٥: ٤٢؛ ١ يو ٢: ٢٧ مع يو ١٦: ٣٠؛ ١ يو ٣: ١٤ مع يو ٥: ٤٢.

التي كُتبت إليها، إلاّ أنّها تُحدِّد لنا وضعها الروحيّ والاجتماعيّ؛ فالجماعة المُرسَل إليها هي جماعة لها تاريخ طويل في الحياة المسيحيَّة، فيها شيوخ وشبَّان (١ يو ٢: ١٢–١٤)، وفيها مشاكل كنسيَّة داخليَّة إذ هي مُهَدّدة بتعليم المُسحاء الدجّالين (١ يو ٢: ١٨)؛ فالمحيط الاجتماعيّ لهذه الرسالة يتحدَّث عن وجود جماعة مفصولة عن الجماعة الأصليّة، فيقول الكاتب عنها: "من عندنا خرجوا، ولم يكونوا منّا، ولو كانوا منّا لأقاموا معنا" (١ يو ٢: ١٩). هذه الجماعة ليست في شركة كاملة مع أتباع الكاتب؛ بعض الآيات توضح المشاكل معهم[٦]، لأنّها تصفهم بأبناء إبليس يعيشون في الخطيئة، هم كاذبون، ولا حاجة للصلاة لهم (١ يو ٥: ١٦).

خلاصة: يوحنّا بن زبدى الرسول والشاهد الأمين، هو كاتب رسالة يوحنّا الأولى، وهو مختلف عن تلميذه يوحنّا الشيخ (٢ يو ١؛ ٣ يو ١)، الذي أكمل تقليده وإرثه الروحيّ في "مدرسة يوحنّاويّة" بعد موته في المقاطعة الرومانيّة في آسيا التي عاصمتها أفسس[٧]. أوجه التشابه بين رسالة يوحنّا الأولى وإنجيل يوحنّا ورسائل الكنائس السبع (رؤ ٢–٣) ورسائل أغناطيوس الأنطاكيّ، تجعلنا نحدِّد زمان كتابة ١ يو في نهاية القرن الأوّل.

٢– تصميم رسالة يوحنّا الأولى

ليست رسالة يوحنّا الأولى برسالة عاديّة؛ فالنوع الأدبيّ الرسائليّ المعروف في العهود القديمة يحتوي على: أوّلاً عنوان وتحية، ثم يأتي جسم الموضوع، وفي النهاية سلامات ختاميّة. هذه هي حال رسالة يوحنّا الثانية والثالثة. أمّا

(٦) الأفكار الأساسيَّة في عقيدتهم نجدها من خلال عبارة "إذا قلنا" التي ترد في الرسالة ٦ مرّات: يقولون لهم شركة مع الله، ويمشون في الظلام (١ يو ١: ٦)؛ يقولون لا خطيئة لهم (١ يو ١: ٨ و١٠)؛ يقولون أنّهم يعرفون الله، ولا يحفظون وصاياه (١ يو ٢: ٤)؛ يقولون أنّهم يمكثون في الله (١ يو ٢: ٦)؛ يقولون أنّهم في النور، ويُبغضون أخاهم (١ يو ٢: ٩)؛ يقولون أنّهم يحبّون الله، ويُبغضون الأخ (١ يو ٤: ٢).

(٧) دنيز الإسكندريّ (†٢٦٥) كان أوّل من قال أنّ يوحنّا الرسول كاتب الإنجيل هو نفسه كاتب الرسالة الأولى، وهو مختلف عن كاتب الرؤيا.

رسالة يوحنّا الأولى فلا.

إنّ ريمون إدوار براون (١٩٢٨ – ١٩٩٨) المفسِّر الكاثوليكيّ الأميركيّ، الذي عَمِلَ في المنهجيَّة التاريخيَّة النقديَّة، كتب كثيرًا حول موضوع "الجماعة اليوحنّاويَّة"؛ فهو يقسم الرسالة إلى قمسين بسبب تكرار الآية: "إليكم البلاغ الذي سمعتموه" في (١: ٥ و٣: ١١). في تفسيره لرسالة يوحنّا الأولى، يقدّم ٤١ تصميمًا مختلفًا، بعض التصاميم تقسم الرسالة إلى قمسين أو ثلاثة أو سبعة[٨]. بالنسبة إلى المفسّرين هناك عدَّة تصاميم لهذه الرسالة ولا يتّفقون على واحد. التصميم الذي نقترحه[٩] يرتكز على موضوع الشراكة أو الشركة (في اليونانيّة koinonia)، وهي كلمة مهمّة في الرسالة، تتكرّر غالبًا وتعطي التوجيه الأساسيّ لها؛ ففي الرسالة علينا أن نحدِّد مقاييس الشركة مع الله.

عنوان رسالة يوحنّا الأولى "شراكتنا مع الله"

المقدّمة (١: ١–٤)

القسم الأوّل: الشركة سيرٌ في النور (١: ٥ – ٢: ٢٨)

١– مقياس أوّل: اجتناب الخطيئة (١: ٥ – ٢: ٢)

٢– مقياس ثانٍ: حفظ الوصايا خاصّة المحبّة (٢: ٣–١١)

٣– مقياس ثالث: التمسّك بالإيمان ردًّا على العالم وعلى المسيح الدجّال (٢: ١٢–٢٨)

القسم الثاني: الشركة عيش كأبناء الله (٢: ٢٩ – ٤: ٦)

١– مقياس أوّل: عمل البرّ واجتناب الخطيئة (٢: ٢٩ – ٣: ١٠)

(8) Cf. J.O. Tuni – X. Alegre, *Escritos Joaninos e Cartas Católicas. Introdução ao estudo da Bíblia*. Vol. 8, Ave Maria, São Paulo 2007, 177.

(9) ر ج E. Cothenet, « Le lettere di Giovanni » , in A. George – P. Grelot, *Introduzione al Nuovo Testamento*. Vol 4. *La tradizione giovannea*, Roma 1978, 53-55

من هذا المقال استقت طبعة الكسليك تصميمها الذي استعملناه نحن بدورنا لكن بتصرّف. راجع **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢، ص ١١٦٠–١١٦١.

٢– مقياس ثانٍ: العمل بالمحبّة على مثال ابن الله (٣: ١١–٢٤)
٣– مقياس ثالث: اجتناب روح العالم، روح المسيح الدجّال (٤: ١–٦)

القسم الثالث: الشركة محبّة وإيمان (٤: ٧ – ٥: ١٢)

١– مقياس أوّل: الشركة محبّة (٤: ٧–٢١)
٢– مقياس ثانٍ: الشركة إيمان (٥: ١–١٢)

الخاتمة (٥: ١٣–٢١)

نظرًا لتكرار بعض الكلمات يمكننا اختصار هذا التصميم على الشكل التالي: خطيئة – محبّة – إيمان، خطيئة – محبّة – إيمان، محبّة – إيمان. ونستخلص أنّ موضوع المحبّة موجود في ثلاثة أمكنة (٢: ٣–١١؛ ٣: ١١–٢٤؛ ٤: ٧–٢١)، وهو مرتبط بمواضيع السير في النور، والولادة الجديدة على مثال ابن الله، وموضوع الشراكة في الإيمان.

٣– موضوع المحبّة في الرسالة

أ– المحبّة وصيّة الوصايا للسير في النور (١ يو ٢: ٣–١١)

موضوع السير في النور يبدأ مباشرة بعد المقدّمة التي تعرض هدف الرسالة، وهو أن تكون لنا "شركة" مع الله ومع بعضنا البعض (١: ٣). لتحقيق هذه الشركة تعرض الرسالة ثلاث وسائل: السير في النور، الولادة الجديدة، والعيش في المحبّة والإيمان؛ فموضوع السير في النور يبدأ بإعطاء تحديد لله، إذا جاز التعبير: "إنّ الله نور لا ظلام فيه" (١ يو ١: ٥). وبعد عرض المقياس الأوّل للسير في النور وهو اجتناب الخطيئة (١: ٥ – ٢: ٢)، يعرض المقياس الثاني، وهو حفظ الوصايا، خاصّة المحبّة (٢: ٣–١١).

نلاحظ أنّ الكاتب يستعمل صيغة الجمع في حفظ "الوصايا" في ٢: ٤،

وصيغة المفرد في حفظ "الكلمة" في ٢: ٥، وهذا يدلّ على أنّ وصيّة الوصايا هي حفظ الوصيَّة القديمة الجديدة (٢: ٧) التي هي المحبَّة.

لماذا هذه الوصيّة هي قديمة أو جديدة (٢: ٧)؟ الوصيَّة هي قديمة لأنّها سُمعت من أيّام الكنيسة الأولى التي تتلمذت على أيدي الرسل الذين بدورهم كانوا تلاميذ الربّ؛ لكنَّ الوصيَّة هي أيضًا جديدة لأنّها في كلّ زمان ومكان تُترجِم بطريقة فريدة نوعيَّة الحياة النابعة من قيامة المسيح.

يشجب الكاتب تصرفات الذين يهتمّون بالكمال، بمعرفة الله، وبالإقامة فيه[١٠]، دون أن يلتزموا بأي تصرّف أدبيّ أخلاقيّ[١١]. عليهم أن يتمثّلوا بحياة المسيح، الروحانيَّة الحقّة التي لم تكن يومًا "طائرة" في الفضاء، إنّما ملتزمة بسلوك وأدبيات: "ليس مَن يقول لي يا ربّ ربّ يدخل ملكوت السماوات، بل مَن يعمل مشيئة أبي الذي في السماوات" (مت ٧: ٢١).

ينبّه الكاتب إلى وجوب السير كما سار المسيح (٢: ٦). هذه الـ"كما" تعني واجب التطابق بين المؤمن والمسيح. في إنجيل يوحنّا يقول يسوع: "أنا هو الطريق. لا أحد يمضي إلى الآب إلاّ بي" (يو ١٤: ٦). طريق المسيح هي المحبَّة، والنور في طريق كلّ مؤمن هو المسيح.

إنّ جذر كلمة "المحبَّة" موجود خاصّة في الآيتَين ٥ و١٠. محبّة الله (٢: ٥)، تُترجَم عمليًّا بمحبّة الإخوة (٢: ١٠). والبغض يُسبّب أن يكون الشخص سبب عثرة، سائرًا في الظلام، وهذا هو معنى العمى الحقيقيّ، حسب يو ٩: ٣٩–٤١ في نصّ شفاء الأعمى منذ مولده: يعتبر الفرّيسيّون أنّهم يبصرون دون أن يؤمنوا بالمسيح الذي شفى الأعمى، وبذلك يتحوّلون إلى سبب عثرة لجميع اليهود من حولهم؛ هذا ما يسمّيه يسوع عمى الخطيئة.

---

(١٠) إنّ هؤلاء يقولون "إنّي أعرف الله" (٢: ٤)، و"إنّي مقيمٌ فيه" (٢: ٥). بحسب الكاتب، هذا القول يجب أن يقترن بالعمل.

(11) Cf. L. SANTIAGO, *Sofrer a Amar*, Canção Nova, São Paulo 2006, 63.

ب– المحبّة برهان الولادة الجديدة على مثال ابن الله (١ يو ٣: ١١–٢٤)

موضوع الولادة من الله يجد مقدّمته في ٢: ٢٩ عندما يقول الكاتب: "كلّ من يعمل البرّ كان له مولودًا". لماذا على المؤمن أن يعمل البرّ (٣: ٧)؟ يضع الكاتب الخطيئة كأنّها عمل إبليس، وعمل البرّ كأنّه عمل المسيح ابن الله، وما هدف المسيح ابن الله سوى إحباط أعمال إبليس (٣: ٨). نتيجة لذلك كان على أبناء الإيمان أن يكملوا عمل الابن، مجتنبين الخطيئة وصانعين البرّ. وما هو عمل البرّ؟ في ٣: ١٠ يشرح الكاتب ذلك، مقدِّمًا المقياس التالي، فيقول: إنّ مَن يعمل البرّ هو كمن يحبّ أخاه.

فعيش المحبّة يكون إذًا اقتداءً بمحبّة ابن الله[١٢]. ووصيّة المحبّة هي بلاغٌ سُمع منه منذ البدء؛ فعبارة "منذ البدء" هي تعبير يوحنّاويّ بامتياز، وقد يعني بدء التاريخ (يو ١: ١)، أو بدء البشارة (١ يو ١: ١). أمّا هنا (١ يو ٢: ١١)، فيقصد الكاتب أنّ وصيّة المحبّة جسّدها المسيح ابن الله بالطريقة الأفضل.

ثمّ يعطي الكاتب صورة قاين الذي قتل أخاه مستخلصًا أنّ من يبغض أخاه هو قاتل (١ يو ٣: ١٥). التلميح المباشر الوحيد في الرسالة إلى العهد القديم هو من خلال قصّة قايين (تك ٤: ١–٨)؛ الاستنتاج هو أنّ الله لم يقبل محرقة قاين لأنّ أعماله كانت سيّئة، في حين أنّ أعمال أخيه كانت أعمال برّ، هو استنتاج تفسيريّ يهوديّ حسب الترجوم الفلسطينيّ، وليس بيبليًّا؛ فبُغض الأخ بنظر الكاتب هو قتل، وهذا تطوّر بالنسبة إلى ٢: ٩، حيث البغض كان فقط مكوثًا في الظلام، لذلك من ينتقل من البغض إلى الحبّ، هو كمن ينتقل من الموت إلى الحياة؛ فالمسيح بموته يبذل نفسه ويُعلّمنا كيف علينا أن نحبّ.

بعدها ينتقل الكاتب ليعرض ٣ طرق لعيش المحبّة، مجيبًا عن السؤال: كيف علينا أن نحبّ بعضنا بعضًا؟ فالجواب يكمن في ٣: ١٦ و ١٧ و١٨ :

(12) Cf. C. Anderson– J. Granados, *Chiamati all'amore. La teologia del corpo di Giovanni Paolo* II, Piemme, Milano 2010, 202.

أ– من خلال بذل نفوسنا في سبيل إخوتنا (٣: ١٦).

ب– من خلال المشاركة في خيرات الأرض (٣: ١٧).

ج– بالعمل والحقّ لا بالكلام واللسان (٣: ١٨).

للمرّة الأولى يستعمل الكاتب فعل آمن في ٣: ٢٣، تمهيدًا للفقرات ٤: ١–٦ و٥: ١–١٢، حيث يتناول فيها موضوع الإيمان. ليس المقصود هنا الإيمان الباطنيّ، إنّما الانضمام الجماعيّ إلى وحدة قانون الإيمان.

ج– المحبّة شركة مع الله ومع الإخوة (١ يو ٤: ٧–٢١)

في هذا المقطع يُعطي الكاتب تحديدًا لله: إنّه محبَّة، agapê (٤: ٨ و١٦). هذا التحديد لله هو الثاني في الرسالة: الله نور (١: ٥) تحديد أوَّل، الله محبَّة (٤: ٨ و١٦) تحديد ثانٍ؛ في التحديدَين لا يريد الكاتب أن يعطي تحديدًا نظريًّا للكائن الإلهيّ، بل أن يذكر بأنّ الله تجلّى في ابنه تجلّيَ إلهٍ يُحبّ، وأنّ هذه المحبّة ظهرت أيضًا في تاريخ الخلاص. وفي إنجيل يوحنّا ٤: ٢٤ تحديد ثالث لله، هو "الله روح"، لأنّه أعطانا الروح القدس لنستطيع أن نعرفه ونعبده العبادة الحقَّة. هذه التعابير الثلاثة في الكتابات اليوحنّاويَّة هي أوفى تعبير عن جوهر الله الواحد ومثلّث الأقانيم.

لقد ترجم الله حبّه لنا إذ أرسل إلينا ابنه الوحيد. فعل "أرسل"، apostello، موجود فقط في هذا المقطع من الرسالة (٤: ٩ و١٠ و١٤)، وهو يعني إرسال الآب للابن. الأهداف من الإرسال هي الآتية:

١– لنحيا به (٤: ٩): الفعل "نحيا به" مستعمل في إنجيل يوحنّا ٥: ٢٥؛ ٦: ٥٧، يعني إحياء من الموت.

٢– كفّارة لخطايانا (٤: ١٠): تعني أنّ المسيح هو الذبيحة التي أُريقت على

الصليب لتغفر خطايانا.

٣– مخلّص العالم (٤: ١٤): هو تعبير خاصّ بيوحنّا، يأتي بالإنجيل كخاتمة للقاء يسوع بالمرأة السامريّة، وكإعلان إيمان لشعب السامرة به (يو ٤: ٤٢).

عبارة "الابن الوحيد" عنت في عب ١١: ١٧ "إسحق" بالنسبة إلى إبراهيم، ولكنّها تعني إجمالاً يسوع المسيح، وذلك استنادًا إلى نصّين أساسيّين: مقدّمة إنجيل يوحنّا (يو ١: ١٤ و١٨)، والحديث مع نيقوديموس (يو ٣: ١٦ و١٨).

لقد تجلّت محبّة الله بأنّه أرسل ابنه الوحيد، وبأنّه أعطى روحه، لكنّ الكاتب يضيف إنّ الله **لم يره** أحدٌ قط (١ يو٤: ١٢ و٢٠): هذا الفعل لا يجب أن يُفاجئ القارئ الذي تعوّد أن يقرأ عبارة "ذاك الذي رأيناه"، لأنّ يسوع هو صورة الله المنظورة، وعمل الروح القدس في حياة المؤمنين هو أيضًا محسوس، أمّا الله فليس منظورًا بالعين المجرّدة[١٣]، وهذا نقدٌ لإدّعاء الغنوصيّين الروحانيّين، الذين يقولون إنّهم أدركو الله بحدس طبيعيّ مباشر بمعزل عن سرّ تجسد ابن الله.

أمّا ذروة الرسالة فتكمن في ٤: ١٦ عندما يقول الكاتب عنه وعن جماعته: "نحن عرفنا المحبَّة وآمنّا بها"؛ من خلال هذه العبارة نستشفّ أنّنا بالإيمان نعرف محبَّة الله، فالإيمان هو مصدر المعرفة والمحبَّة. ليس الإيمان اعتقادًا بأمور غير منظورة بل يعني محبّة الله التي تُترجَم بالشراكة مع الإخوة.

نستخلص من هذا المقطع أنّ الكاتب أراد أن يقول إنّ الله محبَّة، وقد ظهرت محبّته لنا بإرسال ابنه الوحيد، وبإعطائه روحه لنا، لذلك علينا أن نؤمن بأنّ هذا الحبّ قد تمّ، وعندما نؤمن فهذا يعني أن نترجم حبّنا لله لا بالخوف

(١٣) يقول القدّيس أوغسطينوس (**في تفسير إنجيل يوحنّا ١٧**: ٨): "لا تحسب نفسك غريبًا عن رؤيا الله؛ فالله، كما يقول يوحنّا، محبّة، ومَن يثبت في المحبّة يثبت في الله (١ يو ٤: ١٦)؛ فأحِبَّ القريب وتأمّل في نفسك ينبوع هذه المحبّة للقريب، فترى الله هناك، ما أمكنك، فابدأ بحبّ القريب" (رج، بطرس الجميّل، **صلاة المؤمن بحسب السنة الطقسيّة المارونيّة**، الجزء الثاني، منشورات المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٩٦٦، ص ٣٤٤).

من العقاب، بل بمحبّة الإخوة الذين نراهم.

د- علاقة المحبّة بموضوع اجتناب الخطيئة واجتناب تعليم المسيح الدجّال

تدافع رسالة يوحنّا الأولى عن مشكلتَين عقائديّتَين أساسيّتَين هما: سرّ التجسّد (٤: ٢)، وسرّ الفداء (٢: ٢؛ ٤: ١٠)؛ فلم يكن من السهل في الجماعات اليونانيّة قبول فكرة تغيير في الله إلى أنّ يصبح جسدًا ويموت على الصليب كفّارة عن خطايانا. ظهرت بدع كثيرة في الكنيسة الأولى وهرطقات إيمانيّة تنفي هذه الأمور، كالظاهريّة أو الشكلانيّة[١٤]، مثلاً. تعبّر الرسالة عن تعاليم هذه الهرطقات باستعمالها الكلمات التالية: تعليم المسيح الدجّال، والأنبياء الكذبة، وروح العالم.

فبالنسبة إلى كاتب الرسالة، ليست الحياة المسيحيّة إيمانًا نظريًّا فحسب، بل هي أيضًا سلوك عمليّ في خطى المسيح (٢: ٦)، والتزام بالمحبّة التي بها بذل المسيح نفسه عنّا (٣: ١٦). المحبّة هي أولى الوصايا وخلاصة الوصايا كلّها. لا محبّة لله بدون محبّة الإخوة (٤: ٢٠)، ولا محبّة للإخوة بدون محبّة الله (٥: ٢)، لأنّ الله محبّة (٤: ٨ و١٦). ليست المحبّة وصفًا نظريًّا وتحديدًا جوهريًّا لطبيعة الله في جوهر ذاته الإلهيّة، بل وصف للعمل الخلاصيّ الكامل، الذي حقّقه في تاريخ الخلاص[١٥].

لذلك مَن يُحبّ يقيم في النور ويبتعد عن الخطيئة. فالعالم يحتوي على خطيئة مثلّثة: شهوة الجسد، وشهوة العين وفخفخة العيش (٢: ١٦). هذا ما فُهم في تاريخ الكنيسة في ما بعد بالرذائل الثلاثة المضادّة للفضائل الثلاث:

---

(١٤) ما هي الظاهريّة، Docetisme؟ من اليونانيّ dokeo، "أخذ شكلاً." في هذا التعليم الهرطوقيّ، إنسانيّة المسيح تقتصر على مظهر خارجيّ؛ فهو يضع بين مزدوجين آلام المسيح وحقيقة تجسّده. هذا ما جعل الكنيسة في القرن الخامس تصرّح أنّ المسيح هو إله كامل وإنسان كامل. رج:

H.R. Drobner, *Les Pères de l'Église. Sept siècles de littérature chrétienne*, Desclée, Paris 1999, 61.

(١٥) رج **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢، ص ١١٥٩-١١٦٣.

العفّة والطاعة والفقر؛ فالمشورات الإنجيليّة التي يعيشها المكرّسون بحبّ في قلب الكنيسة تعبّر عن الوحدة المطلوبة من قبل كاتب الرسالة بين موضوع المحبّة وموضوع اجتناب الخطيئة.

وهكذا تكون المحبّة هي صلة الوصل بين الإيمان الصحيح والتطبيق أو المسلك الحسن. في قلب الجماعة اليوحنّويّة التي تتخبّط بمشاكل داخليّة بسبب الهرطقات، يأتي كاتب الرسالة ليدافع عن مبدأ الشراكة مع الله، التي لا تنفصل عن المحبّة. وبذلك يكون تعليم هذه الرسالة متخطّيًا حقبتها التاريخيّة، ليمتدّ عبر العصور، إلى كلّ قرّاء هذه الكلمة الحيّة الذين يعتمدون في حياتهم المسيحيّة مبدأ "الشراكة والمحبّة"!

ثالثًا: خلاصة لاهوتيّة

من أولى صفحات العهد الجديد إلى آخرها، يظهر حبّ القريب غير قابل للانفصال عن الحبّ الإلهيّ، فتظهر المحبّة **كهبة وشركة**[١٦]: إنّ المحبّة **"هبة"**، خاصّة من خلال الأناجيل الإزائيّة وبولس الرسول، على صورة الله الذي سلّم مجانًا ابنه لخلاص جميع الخطأة بدون أيّ فضل من قبلهم؛ والمحبّة هي أيضًا **"شركة"**، وهذا ظاهر بطريقة خاصّة في الكتابات اليوحنويّة التي تشير إلى أنّ الآب والابن هما في شركة في الروح القدس، وكنتيجة لهذه الحقيقة، على المؤمنين أن يحبّوا بعضهم بعضًا للتعبير عن الشركة التامّة التي تجمعهم بالمسيح. بعد هذا العرض، ما هي الأفكار اللاهوتيّة الكتابيّة التي نستخلصها من دراستنا لموضوع المحبّة في العهد الجديد؟

١ – الله محبّة

إنّ الله لا يكشف لأوّل وهلة عمّن هو، ولكنّه يتكلّم ويدعو ويعمل، وبذلك

(16) Cf. F.H. Palmer, « Amore, Amato (Diletto) », *Dizionario Biblico*, GBU, Roma 2008, 54-57.

تزداد معرفة الإنسان به عمقًا. لقد كشف الله، بإعطائه ابنه، أنّه هو الذي يعطي نفسه بدافع الحبّ. وإذ يحيا الابن مع أبيه في حوار محبّة مطلقة، يكشف أيضًا أنّه "هو والآب واحد" منذ الأزل، ويعرّفنا، هو الذي في حضن الآب، الابن الوحيد، بالذي "ما رآه أحدٌ قط". وهكذا استطاع التلميذ الحبيب يوحنّا، الذي عاش اختبار المحبّة والإيمان، أن يعطي التحديد الذي يعبّر عن ماهيّة الله قائلاً: "الله محبّة"؛ فمن بين جميع الكلمات البشريّة، بما فيها من غنىً وتقصير، تبقى كلمة "المحبّة" هي التي تسمح لنا بأن نتبيّن، على أفضل وجه، سرّ الثالوث الإلهيّ والهبة المتبادلة والأزليّة بين الآب والابن والروح القدس.

٢- محبّة الله للناس

تتجلّى محبّة الله للناس بإرساله ابنه إلى العالم، "فصار بشرًا وسكن بيننا". وأثناء تدبيره الخلاصيّ، قام المسيح بأعمال رحمة وشفاءات كثيرة معبِّرًا هكذا عن حبّه لنا. فقد علّم أنّه "وديع ومتواضع القلب"، وبعنايته الخاصّة بالخطأة والمنبوذين، استطاع أن يدعوهم إلى التوبة. ويبقى غفرانه لصالبيه وموته على الصليب البرهان الأكبر على المحبّة اللامتناهية من الله للبشر. وقد أعطى الكنيسة رسالة تبشير الشعوب بهذه المحبّة، غافرة خطاياهم ومشركة إيّاهم في وليمة الإفخارستيّا، في ذلك العرس الذي لا ينتهي.

٣- محبّة الناس لله

عداوة الناس لله تجلّت ببعدهم عن الوصايا وبصلب ابنه. لكنّه، بدمه الذكيّ، غفر لهم وأشركهم من جديد في الحياة الأبديّة؛ فمنذ ذلك الحين أصبح من واجبهم مبادلة هذا الحبّ بالحبّ. وبما أنّ هذه الكلمة قد لا تعبّر عن ثقة الناس التامّة بالله، استعمل العهد الجديد أيضًا كلمة "إيمان" الذي يشكّل مع المحبّة يدَي المسيحيّ، غير المنفصلتَين، في علاقته بالله؛ فالتعبير عن الإيمان والمحبّة يكمن في حفظ الوصايا، ممارسة الشعائر الدينيّة، قراءة الكتاب المقدّس، والمواظبة على "الصلوات والتعليم وكسر الخبز".

٤ – المحبّة الأخويّة

كترجمة عمليّة لحبّ الناس لله، عليهم أن يحبّوا بعضهم البعض. المسؤولون في ما بينهم عليهم أن يعرفوا أنّ شرط المسؤوليّة هو المحبّة: "أتحبّني؟ إرعَ خرافي!". وعلى المؤمنين أن يكونوا في ما بينهم كالإخوة: مسارعين إلى ضيافة الغرباء، معتنين بالمرضى والفقراء واليتامى والأرامل، ساعين إلى السلام والعدالة، وناشرين ثقافة الحرّيّة وحضارة المحبّة! هذه المحبّة تُترجم عمليًّا، ليس فقط للذين في دائرة الحياة المسيحيّة، إنما أيضًا للعدوّ والمضطهِد واللاعن والمُبغض، تمامًا كما فعل المسيح على الصليب. في نهاية المطاف، إنّ هذه المحبّة تجاه القريب هي محبّة تجاه المسيح الذي ساوى نفسه بالمحتاج عندما قال: "كنتُ جائعًا وعطشانًا وغريبًا وعريانًا ومريضًا وسجينًا وأسعفتموني"؛ فوجود حبّ كهذا في الجماعة المسيحيّة يوحّد الكنيسة ويعطي، للذين في الخارج، الشهادة الحقيقيّة للتلمذة المسيحيّة.

المراجع

الجميّل بطرس، **صلاة المؤمن بحسب السنة الطقسيّة المارونيّة**، الجزء الثاني، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٩٦٦.

الكتاب المقدّس، العهد الجديد، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢.

ANDERSON C. – GRANADOS J., *Chiamati all'amore. La teologia del corpo di Giovanni Paolo II*, Piemme, Milano 2010.

COTHENET E., « Le lettere di Giovanni », in A. GEORGE – P. GRELOT, *Introduzione al Nuovo Testamento*. Vol 4. *La tradizione giovannea*, Roma 1978, 49-77.

DROBNER H.R., *Les Pères de l'Eglise. Sept siècles de littérature chrétienne*, Desclée, Paris 1999.

LEON-DUFOUR X., « Amour », *Dictionnaire du Nouveau Testament*, Paris 1996, 114-115.

Maggioni B., *Il racconto di Giovanni, Bibbia per tutti*, Assisi 2006.

Moulton W.F. – A.S. Geden, *Concordance to the Greek New Testament*, London New York 2002.

Palmer F.H., « Amore, Amato (Diletto) », *Dizionario Biblico*, GBU, Roma 2008, 54-57.

Santiago L., *Sofrer e Amar*, Canção Nova, São Paulo 2006.

Schelkle K. H., *Teologia do Novo Testamento*. Vol 1. *Sua história literária e teologia*, Loyola, São Paulo 1977.

Tuni J.O. – Alegre X., *Escritos Joaninos e Cartas Católicas. Introdução ao estudo da Bíblia*. Vol. 8, Ave Maria, São Paulo 2007.